نافذة

عكس المنطق

من الطبيعي أن تدفع الأحداث الساخنة التي يتعرض لها هذا البلد أو ذاك، أبناءه إلى طرح السؤال: أليس من المنطقي أن من يتحدث عن حقوق الإنسان ينبغي له أن يكون ممن يمارسها؟ وهل ثمة من خرق لحقوق الإنسان أكثر وضوحاً من أن يُهجّر إنسان من وطنه ويُهدم منزله تحت شعار حماية حقوقه؟
في اعتقادي أن أسئلة كهذه لا بد أن تحيي في ذاكراتنا الجمعية لأبناء شعبنا صوراً عاشتها بلادنا لعقود طويلة وكانت مثالاً بشعاً على ادعاءات البعض من المستعمرين الذين لا يرون في بنود حقوق الإنسان سوى حقوق أبناء شعوبهم.
في سياق هذه المعادلة، ثمة من يعتقد أن حقوق الشعوب تموت مع مرور الزمن وعطفاً على هذا الاعتقاد راهن ويراهن أسياد الاستعمار الحديث على ضعف ذاكرة الشعوب العربية تحديداً وأنها لا بد أن تفقد شبابها عاجلاً أم آجلاً، ومن هنا يضاعفون مساعيهم لحمل أبناء هذه الشعوب على الرضوخ والقبول بالأمر الواقع وهذا ما ثبت لديهم في أحيان كثيرة، وخصوصاً على نحو المثل القائل: «إن لم تكن قادراً على كسر اليد فقبلها وادع عليها بالكسر».
وهذا ما يرويه التاريخ الحديث عندما نشاهد مظاهر الاستكانة لإرادة أعداء حقوق الإنسان الحقيقيين في الغرب عموماً وفي عدد من الدول العربية التي قبلت أن تنحني لتقبيل الأيدي ولكن مع تجنب الدعوة عليها بالكسر، ولأن سورية لا يمكنها الرضوخ لمثل هذا الأمر تعيش محنتها الطارئة هذه منذ أكثر من أربع سنوات، ولا تلين إرادتها رغم حجم ما يبذله أبناؤها، مدنيين وعسكريين على حد سواء، من تضحيات جسيمة.
إن مسلسل الادعاءات التي تصدر، يوماً بعد آخر، في العديد من عواصم القرار في الزمن الراهن لا يمكنها أن تضلل من يحسن تاريخ بلادنا، منذ عام ١٥١٦ عام بداية الاستعمار العثماني وصولاً إلى عام استقلالها في عام ١٩٤٦ أو أن تجعله يؤمن بأن غاية المستعمر أياً كان هي، بالفعل لا بالقول، الحرص على حقوق الآخر، وخصوصاً عندما يكون هذا الآخر يملك مكونات النهوض ببلده ويراهن على دوره في تطوير ذاته وتخطي المصاعب.
إن سورية اليوم، إذ تقف على حافة مصير بين البقاء صامدة أو الاستسلام لإرادة أعدائها الآتين إليها من كل أصقاع الأرض، اختارت أن تكون المثل في الصمود، وأن تكون الرائدة بين الدول العربية في الدفاع عن حقوق أبنائها، وذلك بعدما قالت كلمتها الفصل في التصدي للعدوان، منذ بدايته، مهما كانت تداعياته في الحاضر والمستقبل، سورية هذه هي البرهان على قهر أعدائها والكشف عن زيفهم، والتاريخ المعاصر شاهد على ذلك.
في سياق هذه الخاطرة، لنقرأ قول الفيلسوف اليوناني القديم الكسندروس (٢٥٨- ١٩٨ق.م): «من له وجهان لا وجهَ له على الإطلاق فاحذروه».
كذلك هو المستعمر اليوم الذي له ألف وجه ويعطيك من اللسان حلاوة كما يقال، فبأي منطق يمكن أن يصدق أبناء شعبنا أن المعتدين القتلة جاؤوا إلى بلادنا مدعين الدفاع عن حقوقهم؟

د. اسكندر لوقا

تزامناً مع عرض فيلم «مسيرة وطن»
الأحمد: الجيش يصنع تاريخ سورية الحديث

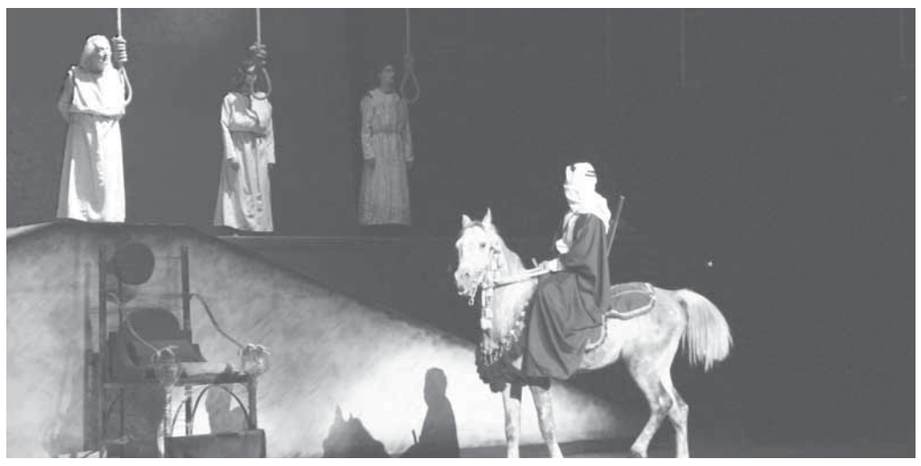

الوطن

أكد محمد الأحمد أن المؤسسة العامة للسينما لم تكن بعيدة يوماً عن إنجازات الجيش العربي السوري، ولا عن جبروته وتضحياته الجسام من أجل حماية سورية وشعبها وصد كل خطر داهم.
وقال بمناسبة عرض فيلم «مسيرة وطن» مساء اليوم: أنجزت المؤسسة عشرات الأفلام حول جوانب مختلفة من نشاط وعمل جيشنا الباسل، ولكنها كانت أفلاماً تأخذ مشاهد جزئية مقطعية من حياة هذا الجيش العظيم، والآن نحن أمام عمل كبير متكامل يأخذ مسار القوات المسلحة السورية منذ أيام الشهيد الكبير يوسف العظمة وما قبله وحتى الصمود الأسطوري الرائع الذي يبديه جنودنا البواسل في معركتهم مع الإرهاب الدولي الذي يضخ إلى أرضنا الطاهرة عشرات ومئات الآلاف من المرتزقة والقتلة المحترفين.
وأضاف: أثناء صنع هذا الفيلم لم تكن كلمات قائد الوطن، السيد الرئيس بشار الأسد رئيس الجمهورية والقائد العام للجيش والقوات المسلحة، تغيب عن بالنا إذ يقول: «هذا الشعب هو الذي احتضن القوات المسلحة وهذه القوات المسلحة.. لو عدنا لتاريخ سورية منذ الاستقلال فهي التي صنعت تاريخ سورية بكل التفاصيل.. بالأحداث العسكرية منها أو الأحداث السياسية وفي مقدمتها الوحدة مع مصر التي صنعتها القوات المسلحة بالدرجة الأولى عندما ذهب وفد عسكري والتقى عبد الناصر. هي التي واجهت الإخوان المسلمين. هي التي ساهمت في توحيد لبنان.. هي التي خاضت حرب تشرين التحريرية. وما زالت هذه القوات المسلحة تصنع تاريخ سورية.. اليوم ينظر الشعب السوري إلى هذه القوات المسلحة أيضاً النظرة نفسها التي نظر إليها عبر تاريخه بعد الاستقلال. هي نظرة الأمل في أن تتمكن من دحر الإرهابيين وإعادة الأمن والأمان إلى سورية. كلنا ثقة بتاريخنا. كلنا إيمان بالله وبالوطن وبهذا التاريخ. وإيمان بأننا سننتصر بصمود ووعي الشعب. وببسالة وشجاعة قواتنا المسلحة. (من لقاء السيد الرئيس مع صحيفة تشرين بتاريخ ٦ تشرين الأول ٢٠١٣).
وختم مدير المؤسسة العامة للسينما: هذا الجيش يصنع تاريخ سورية الحديث، وهو جيش يشرّف كل من ينتسب إليه، ويشرّف أي شركة إنتاج تصور بطولاته وتضحياته وتاريخه. لهذا لا حد لإحساسنا بالفخر، في مؤسسة السينما، بإنتاجنا لهذا الفيلم.

عمل استعراضي غنائي في فلك البساطة والمتاهة
الطريق إلى الشمس... ما رُوّج عن العرض في وادٍ والطابع الذي تركه في وادٍ آخر

عامر فؤاد عامر- تصوير: طارق السعدوني

قُدّمت المسرحيّة الاستعراضية الغنائيّة «الطريق إلى الشمس» على مدى ثلاثة أيام متوالية، في مسرح دار الأوبرا في دمشق، بحضور جماهيري لافت، وقد كان الاهتمام الإعلامي كبيراً بهذا الحدث قبل العرض وأثناءه، لكن يبقى السؤال الأكثر أهمية! ما الذي قدّمه هذا العرض؟
سؤال يستحق الطرح والتمعن فيه، للبحث عن إجابة ترضينا، فالعمل الذي حمل أسماء مهمّة بتاريخها وإنجازها الفني، رافقها أيضاً الكثير من الكوادر المجتهدة، فهناك الراقص، والممثل، والمغني، والإعلامي، والكاتب، والشاعر... إلخ، فهي مزيج كبير من المستويات التي جمعت بين أسماء معروفة، وأصحاب خبرات، وطلابٍ من المعهد العالي للفنون المسرحيّة، وخريجين جدد منه، وغيرهم، وقد روُّج قبيل تقديم العرض، بأن هناك ما يزيد على مئة شخص سيظهر على خشبة المسرح مؤدياً دوره.

كلّ هذه الجهود مشكورة، وكلّ الضخ الإعلامي الذي رافقها أيضاً مشكور، ولكن ما القيمة الفنيّة التي أضافها هذا العرض؟
لقد بقيت مسرحية «الطريق إلى الشمس» ضمن بوتقة من البهرجة والاستعراض من دون هدف واضح، أو على الأقل حمل عدّة أهداف؛ لم تنسجم مع بعضها، لتكون مسرحيّة تسير بخطوات متوازنة، بل كانت كثيرة التأرجح، بين مضامين مهمّة، وعدم المقدرة على الوصل بينها، لتقدّم في قالب مسرحي حقيقي، فهي لم ترقَ في النهاية لمستوى المسرح الغنائي الاستعراضي، بل بقيت في مستوى المحاولة لتقديم شيء، وليس أكثر من ذلك.
وُلد العمل من فكرة، ثم تطورت الفكرة لتكون سيناريو عمل يُقدّم على المسرح، وقد جاءت التدريبات في مرحلة زمنيّة قصيرة جداً، مع رؤية إخراجيّة خاصّة، في حين أن المسرح الاستعراضي الغنائي هو من أهمّ، وأدق أنواع العمل المسرحي، لأنه يحمل كوادر متنوّعة، تحتاج إلى تأنٍّ، وهدوء في تجسيد الفكرة، وإيصالها للمتلقي، كما أن التجربة عبر التاريخ تبيّن أن هذه الجهود، تحتاج المزيد من الوقت للتدريب، والذي قد يتجاوز العامين، وليس مقاربة الشهرين، كما كان معنا هنا في (الطريق إلى الشمس)!.
فالتدريب المكثف، والمستمر، هو ما يجعل من الرؤية أكثر وضوحاً في انسجام الأفكار، وحصرها، ونسف ما يشوّه الهدف من تقديمها، ومزج الألوان مع بعضها بصورة سليمة، لا تشتت العين، فلا تترك طابعاً مخالفاً لما يهدفه العرض، وما نريد أن نقوله حول هذا العرض: إن الكم الكبير من كوادر، وصور، وأفكار، وديكورات رافقت العرض، جعلت منه عرضاً مختلفاً عن الرؤية الواضحة، والبسيطة، بل بقي في فلك الاستعراض، والمشاهد المتقطعة، من دون الاحتراف في وصل هذه المشاهد بطريقة تخدمنا للوصول إلى الشمس، فكانت متاهة وأحجية. وهذا الأمر طبيعي جداً لأن التدريبات جاءت في زمنٍ قصيرٍ جداً، ولا يمكن خلاله أن يكون لكادرٍ كبير تجاوز المئة شخصيّة (وهذا الرقم على ذمة المسؤولين عن العرض) أن يظهر بصورة متقنة ومنسجمة، بل من الطبيعي جداً أن يكونَ عبارة عن مشاهد لا تحمل حبكة مسرحيّة حقيقيّة، وواضحة، بل فقط استعراض، وأضواء، وإمتاع ليس أكثرٍ من ذلك، فكان ما روّج له العرض قبل أن يُعرض في مكان، وبعد أن تمّ عرضه في مكانٍ آخر، وهذا هو الطابع الأخير الذي تركته مسرحيّة «الطريق إلى الشمس»، فمن شاهد العرض خرج بنتيجة أنه جميل لكنّه مُشّوش، إذ ما سمعناه وقرأناه عن العرض كان في مساحة لا تقارب النتيجة التي خرجنا منها بعد رؤية العرض.
لا يمكن لنا أن نبخس الجهود حقّها، فهناك خطوط دراميّة حملت قيماً مهمّة، بل تستحق الوقوف عندها، فالشهيد والوطن والحب والمقاومة والأمل ورغبة الانتصار والتضحية والحقائق الواضحة وغيرها من القيم التي اعتمد عليها العرض ستحمل أصداء كثيرة في وجدان المتلقي ولاسيما أنّ الطريق إلى الشمس حملت مروراً على مشاهد من تاريخ سورية الخاص ومقاومتها لأنواع الاستعمار والاستبداد والظلم والغزو الغريب عنها إلى يومنا هذا، وكذلك لا يمكن إهمال الجهود الكثيرة التي يمكن لفت النظر إليها بقوة، والتي جاءت بين أسماء مهمّة على الساحة الفنيّة في سورية، فأثبتت جدارتها في كثيرٍ من المشاركات التي عرفناها سابقاً، وبذلك أغنى وجود هذه الكوادر مسرحيّة (الطريق إلى الشمس)، وجعل هذا الموضوع كأنّه همزة الوصل، بين المتلقي والعمل، ليكون ذلك منظاراً يقرّب من وجه النظر التي أرادها المخرج « ممدوح الأطرش» والذي تحدّث إلينا في تصريحٍ خاصّ لـ«الوطن»: «حُكمنا في الوقت، فالعمل يتحدث عن دم الشهيد الغالي، الذي هو جزء من هذا الوطن، وذلك عبر أزمان متتالية مرّ فيها، وما زال الجسد السوري ينزف في يومنا هذا، فالعمل مرتبط بالشهيد بشكل ما، وقد اضطررنا لتكثيف لوحاتنا؛ بمناسبة عيد الشهداء (السادس من أيار) ليقدّم العمل بشكله كما هو الآن، ولكن في الواقع هكذا عمل يحتاج لسنوات من التحضير، والتجهيز، والتنفيذ، وقدً اختصرنا هذه السنوات في أشهر قليلة جداً، بمساعدة، وإيمان كلّ من كان معي في هذا العمل، إلى أن وصلنا إلى هذه النتيجة».
اعتمد العمل على نص شعري مميز قريب من واقع الحال وهم الشارع، ويمكن القول إن انتقاء الكلمة فيه جاء بخصوصيّة قدّمها الفنان كفاح الخوص بتفرد، كما كان له دور تمثيلي في المسرحيّة من خلال شخصيّة راوي الأحداث، إضافة لدوره كمساعد مخرج في العمل، وقد أضاف لنا حول العمل أيضاً: « قدّمت شخصيّة الراوي في مسرحيّة (الطريق إلى الشمس) والعمل هو طريق لا يمكن لأي شخص الدخول فيه، ولا يمكن للطغاة الاستمرار فيه، ولو فرضوا وجودهم لوقت طويل، فهو مكان خاص جداً، وفقط حقيقّته يكشفها ويفهمها ابن الوطن، وهو طريق الشهيد نحو النور والإيمان ومعرفة الحقيقة».
جاء العمل برعاية وزارتي الثقافة والإعلام – دار الأسد للثقافة والفنون، بالتعاون مع مؤسسة «ميثا» للإنتاج الفني. وبطولة نجوم الدراما والغناء السوري: « نورا رحال، وكفاح الخوص، ووسيم قزق، وميس حرب، وحسين عطفة، وعباس الحاوي، وفيصل الراشد، وشادي كيوان، والطفل ريّان شاميّة». في العمل أصوات غنائية جميلة تميّز العرض بها وجاءت بين ثلاثة أسماء هي: «نورا رحال» التي جاءت بأغنيات مسجلة في الاستديو، وعلى طريقة (playback) كانت في أداء الأغنية على المسرح، و«ميس حرب»، و«حسين عطفة» اللذان قدما أغانيهما بأداء حيّ ومباشر بينت مقدرتيهما الغنائيّة والتكيف مع الدور الدرامي الخاص بهما والمشترك في الأداء التمثيلي فكان جهداً قوياً يستحق التقدير والإشادة، وقد التقينا الفنانة «نورا رحال» التي بينت في كلامها مدى قوّة هذه التجربة وجرأتها كخطوة بنيت على التحدي والمغامرة: «هناك سرعة في تنفيذ العمل، لكن اعتمدنا فيه بأن يقوم كلّ شخص منا بتأدية مهمته على أكمل وجه وبثقة وفرح وإتقان، فلم نعتمد إلا على أنفسنا في إتمام العرض، أمّا دوري في الطريق إلى الشمس فقد اجتهدت فيه على مسألة الحفظ كثيراً، وعلى مسألة تأدية الدور بإحساسٍ، وثقة في الكلام، مع الاهتمام بالتفاصيل من أزياء إلى موسيقا، وتدريب في الاستديو، وتمرينات مع الراقصين، وشخصيّتي في المسرحيّة هي «ميثا» وأثناء القراءة وجدت قرباً بيني وبينها، فقد أحسست بأنّني وميثا شخصيّة واحدة». أمّا الفنانة «ميس حرب» فقد ذكرت لنا عن دورها في تجسيد شخصيّة زهرة الفتاة التي تعاني بين همها الداخلي والهم الخارجي المفروض بقسوة عليها فتقول: «جسّدت دور فتاة اسمها «زهرة»، وهي ترمز للحبّ، والأمل، وأثناء العمل تتحوّل طيبتها إلى حالة من القساوة بسبب المعارك، والحروب، والتعب، وانتظار الحبيب الثائر، الذي لم يعد بالإمكان أن يكون بقربها، بسبب الظروف القاسية التي حكمت البلاد، وفي النتيجة تفقد «زهرة» الأمل، ولكن في نهاية المسرحيّة يتمّ التركيز على استمرارية الأمل، وذلك من خلال الطفل الذي يظهر في نهاية العرض، ويتحدث مباشرةً عن لغة الأمل». وبدوره ألقى الفنان «حسين عطفة» الضوء على الدور الذي يجسده وهو «أسعد» حبيب زهرة فيقول: «جسدت دور «أسعد» الذي يمثل باختصار، خط الحبّ في زمن الحرب، مع شخصيّة «زهرة» التي تجسدها الفنانة «ميس حرب»، وأسعد هو شخص واقعي في لحظات، وحازم في مواقفه، بسبب الجراح التي يتعرض لها وظروف البلد القاهرة، وفي لحظات هو حالم يتطلع لبناء أمله، ونسج نهاية سعيدة، لأمانه وأمان البلد، وانتصارها بعيداً عن لغة الحرب».

> الحب في زمن الحرب ...
> والاعتماد على نص شعري قريب من واقع الحال

ميس حرب

حسين عطفة

نورا رحال

ضمير الأدب الألماني يودع الحياة
رحيل غونتر غراس عن ٨٧ عاماً

ديالا غنطوس

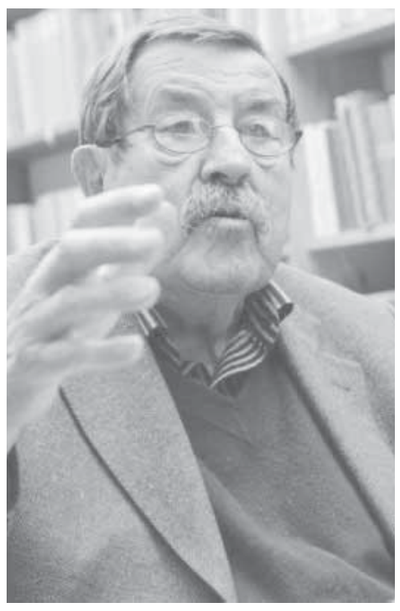

«إنها طفولة بين الروح القدس وهتلر» بهذه الكلمات يصف ميخائيل يورغس حياة الكاتب الألماني الكبير غونتر غراس، فلا يجمع ما بين حياة الأدب والحرب إلا هو، وما بين سلاح الجو الألماني والسجن الأميركي حلقت ذاكرته ولم تستطع قضبان السجن أن تقيدها، ومن طفل لوالدين يملكان محلين للبقالة، إلى أكبر أدباء ألمانيا وأعظمهم كما وصفه موقع « شبيغل أونلاين»، فعن عمر ناهز السابعة والثمانين غادر غونتر غراس الحياة تاركاً إرثاً أدبياً لا ينضب، عرفه الناس من خلال العديد من الروايات التي ترجمت إلى لغات عديدة ومنها العربية، حاز جائزة نوبل للآداب رغم أن انطلاقته في عالم الأدب بدأت متأخرة، إلا أن مخزونه الفكري طفح بغزارةٍ وأنتج سيلاً من الروائع التي ستبقى تخلد ذكره النفيس، لم يساوم على مبادئه ولم يحابِ أحداً من أجل مكانة معينة، فنال أعظم لقب يمكن لكاتب أن يتمناه وكان « ضمير الأدب الألماني».

غونتر غراس، الذي ولد في السادس عشر من تشرين الأول عام ١٩٢٧ بمدينة دانتسيغ التي تعرف حالياً بغدانسك في بولندا وكانت حينها تخضع لإدارة دولية، نشأ في أسرة بسيطة لأب بروتستانتي ألماني وأم كاثوليكية من أصول بولندية، كانا يعملان في البقالة في حي فقير يقطنه الفقراء، وعاش طفولته وترعرع في منزل ضيق وصغير لكنه خلق فيه ذاك الحلم الكبير، وقد مر واجتاز غراس الكثير من الصعوبات المعيشية، كما شهد في رحلة حياته عدة محطات من الصعود والهبوط وواجه أخطاراً جسيمة، فحين بلغ السابعة عشرة من عمره وفي خضم معارك الحرب العالمية الثانية، تم استدعاؤه لأداء الخدمة العسكرية عام ١٩٤٤، ابتدأ خدمته بالمشاركة ضمن قوات سلاح الجو لكنه انتسب لاحقاً للوحدات الخاصة النازية، وقد كشف ذلك للملأ بعد انقضاء عدة عقود ما أثار جدلاً كبيراً في ألمانيا التي خلعت عنها ثوب النازية، كما أعلن أيضاً وقوعه في الأسر لدى الجيش الأميركي بعد انتهاء الحرب عام ١٩٤٦ وقضاءه عدة أشهر في السجن إلى أن أطلق سراحه في السنة نفسها، ثم بدأ بعدها دراسته الجامعية فدرس فن النحت في مجمع الفنون بمدينة دوسلدورف الألمانية، وأكمل بعد ذلك دراسته العليا في جامعة برلين للفنون التي تخرج فيها عام ١٩٥٦، وقبل تخرجه في بداية الخمسينيات قرر أن ينتقل من الفنون التشكيلية إلى مجال الأدب والكتابة فانضم إلى مجموعة من الكتاب عرفت باسم «المجموعة ٤٧» وهم مناهضون للفاشية، وفي عام ١٩٦١ انخرط في صفوف الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني، وكان يمثل ما يشبه «السلطة الأخلاقية» في ألمانيا، ومن مكانه هذا شن حملة عنيفة على رجالات الطبقة السياسية بسبب فشلهم في مواجهة النازية خلال الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية.
تعددت المواهب الإبداعية التي امتلكها غراس، ذاك المتمرد ذو الشنب العريض والنظارات الكبيرة المتكئة على أنفه برفقة غليونه الذي لا يفارقه، وبصورته كمتمرد مدخن للغليون وشنبه العريض ونظاراته الكبيرة الموضوعة على أنفه، ففي مقتبل عمره بدأ بالعزف على آلة الجاز ومن ثم قام بكتابة الشعر والرواية، كما أبدع بالنحت والرسم وبالتصوير، وبعد تخرجه من الجامعة عام ١٩٥٩ استقر لفترة لم تطل في باريس، وقد عاش فيها مع زوجته حياة بسيطة ومتواضعة، شكلت تلك الفترة انعطافة مهمة بحياة غراس الأدبية، فقد كتب خلالها المسودة الأولى لروايته الشهيرة «طبل الصفيح» التي صدرت في العام نفسه ولاقت انتشاراً واسعاً ونجاحاً في ألمانيا وفي دول عديدة حول العالم وقد ترجمت إلى أربع وعشرين لغة كان من بينها اللغة العربية، وجرى تحويلها لاحقاً إلى فيلم أخرجه فولكر شلوندورف الذي نال عنه

أوسكار أفضل فيلم ناطق بلغة أجنبية كما نال السعفة الذهبية في مهرجان كان، وقد حصل غراس على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٩٩ عن الرواية ذاتها التي وُصفت بأنها «مؤسِّسة للأدب الألماني في الحقبة التي تلت الحرب العالمية الثانية»، ازدادت شهرة غراس عالمياً بعد رواج روايته الأولى التي كانت جزءاً أول من ثلاثيته التي حملت إسم «ثلاثية دانتسيج»، وقد ضمت أيضاً رواية «القط والفأر» التي صدرت عام ١٩٦١، ثم الجزء الثالث باسم «سنوات الكلاب» التي تم نشرها عام ١٩٦٣، واستمر غراس بكتاباته التي اهتمت برصد التبدلات الاجتماعية والظروف العامة في البلاد، فكانت انتفاضة المثقفين في ألمانيا الشرقية عام ١٩٥٣ حاضرة في كتاباته، كما الاحتجاجات الطلابية سنة ١٩٦٨ التي تطرّق لها بعد مرور عام من اندلاعها في رواية «تخدير جزئي» ١٩٦٩، واتصفت كتاباته بالجرأة واللغة المتحررة اللاذعة وكان منها رواية «اللقاء في تيلكتي» عام ١٩٧٩ و«الفأرة» ١٩٨٦ و«مئويتي» ١٩٩٩، ليكتب بعدها رواية «مشية السرطان» عام ٢٠٠٢ وقد عاد من خلالها إلى عام ١٩٤٥ وغاص بين سطورها في أعماق التاريخ الألماني، وله روايات اتسمت بالسخرية والخيالية مثل «مذكرات حلزون» وأخرى أثارت جدلاً بين العموم في ألمانيا كرواية «القصة الكاملة» التي أدت إلى كيل الاتهامات له بعدم حبه لبلاده.
كما حقق غونتر غراس حضوراً مميزاً في المشهد المسرحي الألماني فقد ألف مسرحيات منها «الطهاة الأشرار» سنة ١٩٥٦ وبعدها بعام كتب مسرحية «الفيضان» ١٩٥٧، وأيضاً أثبت خصوصيته وإبداعه في الشعر الحديث من خلال مجموعات ومؤلفات شعرية ابتدأها بـ«مزايا دجاج الريح» عام ١٩٥٦ وله أيضاً «مُستجوَب» عام ١٩٦٧، ولعل أبرز مجموعاته الشعرية كانت «وصلة المثلث» التي نشرها عام ١٩٦٠ بعد عام من صدور كتاب «طبل الصفيح» الذي حقق منه شهرة عالمية واسعة.
حفلت حياة غراس بأعماله الإبداعية، وكذلك زخرت بالمَواقف العظيمة التي سجلها التاريخ، وكان لمواقفه وأفكاره الفضل بما هي عليه ألمانيا اليوم باعتراف جميع المنخرطين بالشأن العام الألماني، وكان منها انتقاده لماضي بلاده النازي واستنكاره وتضامنه مع ضحايا ذاك العهد، إضافة لممارسته دوراً ثقافياً وسياسياً تنويرياً مستقلاً ومناصرته لحقوق الإنسان، ومن أبرز مواقفه كان احتجاجه على ترحيل الأكراد من ألمانيا إلى كردستان العراق، كما كان أبرز المناهضين للغزو الأميركي للعراق عام ٢٠٠٣، ورفضه للحروب بشكل عام.
رحل عنا غونتر غراس في الثالث عشر من نيسان ٢٠١٥، وغادر عالماً لم يكن يوماً مكانه المفضل، حيث أمضى ٨٧ عاماً عاشها في خوض غمار السياسة والحياة الاجتماعية العامة ساعياً لخلق جدلٍ فكري بناء يفضي إلى تنوير المجتمع، عبر انتقاد موروثه بغية الوصول بالأجيال القادمة إلى مستقبل مغاير للتاريخ الذي يحفل بالأخطاء الكبرى، فكان غراس خير ممثل للضمير الإنساني، وبات جزءاً لا يمحى من ذاكرة الشعوب التواقة لمستقبل يعمه السلام.